ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

المنجز اللساني التفاعلي للأسس العلميّة في تعليم اللغة العربيّة في المدارس المغاربيّة- عبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا

Interactive linguistic achievement of scientific foundations in teaching Arabic in Maghreb schools - Abdel Rahman Hajj Saleh as a model

د. بسمة سيليني[1،*] ، د. عمارصويلة[2]

[1] جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل(الجزائر)، abasmahbasma@gmail.com

[2] المجمع الجزائري للغة العربية(الجزائر)،ammarsouila2@gmail.com

تاريخ الإستلام: 2023/02/04 تاريخ القبول: 2023/05/31 تاريخ النشر: 2023/06/10

ملخص:

شكّلت أعمال الدّكتور عبد الرحمان الحاج صالح أنموذجا لسانيّا تفاعليّا في المغرب العربي، بكلّ ما تحـ من قضايا شائكة، الغرض منها إحياء الجهد اللّساني التّراثي في العصر الحديث، والاستثمار الفعّال للمنجزات الأصيلة في شكل تأصيلي حديث، لذلك إنّ الحديث عن الأعمال العلمية التّفاعلية في الجزائر مع المغرب العربي التي ترأّسها عبد الرحمان الحاج صالح، تستحق وبكلّ تأكيد الحديث عنها وجمعها بغرض تثبيت وتبيان الجهد الذي قام به في سبيل توحيد تعليم اللّغة العربية في المغرب العربي، وتصحيح المسار التّعليمي لها، وفق ما تحما من رهانات وتحديّات هويّاتية، ومشاريع وظيفيّة ذات فعاليّة، لذلك يفرض علينا موضوع هذه الدّراسة الإجابة عن الإشكاليّة التّالية : فيمَ تتمثّل الأسس التّعليميّة لتعليم العربية في الجزائر ذات السّمة التفاعلية مع المغرب العربي؟هل نجحت الأعمال العلميّة التفاعلية على المستوى التطبيقي في الوطن المغاربي؟ وفيمَ تتمثّل أسس هذ التّفاعل في الخطاب الإنجازي للأعمال العلميّة؟

الكلمات المفتاحية: المنجز اللّساني؛ تعليم العربيّة؛ المدارس المغاربيّة

***

Abstract:

The work of Dr. Abd al-Rahman Hajj Saleh was an interactive linguistic model in the Arab Maghreb, with all the thorny issues it holds, the purpose of which is to revive the traditional linguistic effort in the modern era, and the effective investment of authentic achievements in the form of a modern, original, so the talk about interactive scientific works in Algeria with The Arab Maghreb, headed by Abdel-Rahman Al-Hajj Saleh, certainly deserves to talk about it and collect it for the purpose of confirming and clarifying the effort he made in order to unify the teaching of Arabic in the Arab Maghreb, and to correct the educational path for it, with all the stakes and identity challenges, and effective job projects, Therefore, the research topic imposes on us the answer to the following problem: What are the educational foundations for teaching Arabic in Algeria, which is interactive with the Maghreb? Have interactive scientific works succeeded at the applied level in the Maghreb? What are the foundations of this interaction in the achievement discourse of scientific works?

Keywords: *linguistic achievement; teaching Arabic; Maghreb schools..*

* المؤلف المرسل.

I. مقدّمة:

تعدّ أعمال الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح في مجال تعليميّة اللّغة العربيّة قسطا وافرا وبحرا مليئا من القضايا والجهود الّتي سخّرها خدمة للّسان العربي والحفاظ عليها، تجلّت في مشاريع عديدة، أسهمت في إنتاج التّفاعل اللّساني المغاربي من خلال أعمال علميّة مغاربيّة شكّلت قطب التّفاعل والاندماج، من بينها مشاريع عدّة، منها ما تعلّق بالذّخيرة العربيّة، أو ما يسمّى بالأنترنت العربي، والآخر هو مشروع الرّصيد اللّغوي الوظيفي الذي يهدف من خلاله إلى تقريب الهوّة بين العاميّة والفصحى، لتسهيل تعليم العربيّة للنّاشئين ممن المتعلّمين، وتوحيدها في الوطن العربي عن طريق توحيد المصطلحات المستعملة في المناهج التّعليميّة،فهنا تكمن أهمّية البحث في التّأصيل للمنجز اللّساني التّعليمي المغاربي في تعليم العربيّة عند الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح، كما نهدف من خلال البحث إلى تبيان الجهود اللّسانيّة للمجامع والنّدوات المشاريع الجزائرية المغاربيّة ودورها في تثمين المبحث التّعليماتي، لذلك سنتّخذ من المنهج الوصفي منهجا إجرائيّا مدعّما بآليات التحليل والمناقشة.

أوّلا: من هو عبد الرحمان الحاج صالح؟:

ولد **عبد الرحمان الحاج صالح مولود بمدينة وهران في (1927/07/08)**، درس في المدرسة الجزائرية إبّان الاحتلال الفرنسي للبلاد، وفي الوقت نفسه كان يتلقى دروسا بالعربية في إحدى المدارس الحرّة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين

واختار الدّكتور عبد الرّحمان حاج صالح دراسة الطّب، وتوجّه عام (1954) إلى مصر ليكمل دراسة التخصص في جراحة الأعصاب، وكان وقتها يتردد على جامع الأزهر ويحضر بعض دروس اللغة العربيّة ، مما جعله يغوص أكثر في لغة الضّاد.

وبعد مغادرته مصر، التحق بجامعة بوردو بفرنسا، ثم بالمغرب حيث قام بتدريس اللّسانيات في كلية الآداب بجامعة الرّباط، وحصل على دبلوم العلوم السياسيّة من كليّة الحقوق، كما درس الرّياضيات في كلّية العلوم بالرّباط في المغرب.

وفي عام (1968) أصبح **عبد الرّحمان حاج** صالح أستاذا زائرا بجامعة فلوريدا الأميريكيّة، وفي عام (1979) حصل على شهادة الدّكتوراه في اللّغة العربيّة واللّسانيات من جامعة السّوربون بفرنسا

تقلّد عبد الرّحمان الحاج صالح العديد من الوظائف والمسؤوليّات، حيث عيّن رئيسا لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات في جامعة الجزائر عام (1964)، ثم انتخب عميدا لكلية الآداب حتى عام (1968).

تفرّغ بعد ذلك للدّراسة والبحث في اللّسانيات، حيث أنشأ عام (1980) ماجستير علوم اللسان، قبل أن يتمّ تعيينه عضوا مراسلا بمجمع اللّغة العربيّةبالقاهرة، ثم انتخب عضوا عاملا به عام (2003).وعيّن قبل ذلك عضوا في كل من مجمع دمشق (1978) ومجمع بغداد (1980) ومجمع عمان (1984) للغة العربية، كما كان عضوا في عدة مجالس علمية دولية.

وفي عام (2000) عين الدّكتور عبد الرحمان حاج صالح رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية، إضافة إلى عمله أستاذا وباحثا في جامعة الجزائر، كما شغل أيضا منصب رئيس اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية في الجزائر، وترأس مشروع الذخيرة اللغوية العربية الذي أسسه.

لقب حاج صالح بـ"أبو اللسانيات والرائد في لغة الضاد"، لأنه كرّس حياته في البحث والتنقيب في مجال اللّغة العربية، ومن خلال عشقه لهذه اللّغة اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي العربي من خلال ما اطلع عليه خاصة من كتاب "سيبويه."ومن أبرز أعمال الباحث الجزائري، تأسيسه للدّرس اللّساني في الجامعة الجزائرية، ومشروع الذخيرة اللّغوية العربيّة، الذي أسّسه بفضل أبحاثه عن طريق البرمجة الحاسوبية، وكان أول عالم عربي يدعو إلى ذلك المشروع، كما كان أوّل الدّاعين إلى إنشاء**غوغل** عربي.

وبالإضافة إلى رصيده العلمي والمعرفي، شارك حاج صالح في النّضال ضدّ الاستعمار الفرنسي، فالتحق بحزب الشعب الجزائري بعمر لا يتجاوز 15 عاما.

تحصّل عبد الرحمن حاج صالح على العديد من الجوائز، من بينها "جائزة الملك فيصل" عام (2010)، تقديرا لجهوده العلمية المتميزة في تحليله النظرية الخليلية النحوية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة، ودفاعه عن أصالة النّحو العربي، وجهوده البارزة في حركة التعريب.

ترك حاج صالح عشرات الأبحاث والدراسات في اللغة واللسانيات ومعاجم علوم اللسان نُشرت في مختلف المجلات العلمية المتخصصة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية.وألّف وشارك في تأليف عدّة كتب في علوم اللّغة العربيّة واللّسانيّات العامّة، منها معجم علوم اللّسان، وبحوث ودراسات في علوم اللّسان، والسّماع اللّغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، وعلم اللّسان العربي وعلم اللّسان العام (بالفرنسية في مجلّدين)، والنّظرية الخليلية الحديثة.. مفاهيمها الأساسية، ومنطق العرب في علوم اللسان.توفّي عبد الرحمان حاج صالح يوم (5 مارس 2017) بمستشفى عين النعجة في الجزائر العاصمة عن عمر ناهز 90 عاما.وقد نعاه الرّئيس الجزائريعبد العزيز بوتفليقة في رسالة أثنى فيها على الرّجل، واعتبره قامة في علوم اللّغة واللسانيات، وأنّه أمضى جل عمره منقباً وباحثاً في لغة الضاد

ثانيا- المشاريع المنجزة وصلتها بالإنجاز التّفاعلي المغاربي:

1 - ما هو مشروع الرّصيد اللّغوي الوظيفي؟:

هو مجموعة مفردات عربيّة تؤدّي مفاهيم الطّفل المغربي في سنّ معيّنة، تلك المفاهيم التي وردت على لسانه وتلك الّتي أضيفت اعتبارا لحاجاته، وقد ضبط الرّصيد اللّغوي على عدّة مناهج ووسائل من بينها تجريد الكتب المستعملة في المغرب العربي عن طريق إحصاء مفرداتها وتحديد سياقاتها وعدد تواترها، وإجراء تحريّات لغويّة في مناطق مختلفة من أقطار المغرب العربي الثّلاثة، حسب توزيع المعطيات الجغرافية والاجتماعية عن طريق تسجيل محاورات لعدد كبير من الأطفال. مع نسخ الكلام المسجّل في الرّتابيات لإجراء تحليلات إحصائيّة. فمشروع الرّصيد اللّغوي الوظيفي من البحوث العلميّة التي قام بها الدّكتور عبد الرحمان حاج صالح في معهد العلوم اللّسانية بالجزائر، أمّا فيما يخص البحث فقد اهتم الباحثون في هذا المعهد بمشاكل اللّغة الملقّنة في المدارس قبل كلّ شيء، نظرا لاهتمام علماء المعهد بعلوم اللّسان، كما اهتموا أيضا بمشكل المصطلحات المدرسيّة والجامعيّة وتوحيدها، أمّا من ناحية مناهج التّعليم، فقد أولو اهتمامهم بمشكلة تعليميّة اللّغة العربية ومشكل المعلّمين الذين لا يتقنون التّكلم باللّغة العربية الفصحى بشكل صحيح.

وقد تمّ تأليف الرّصيد اللّغوي الوظيفي للمرحلة الأولى من التّعليم الابتدائي، من المعهد التّربوي الوطني، الجزائر، تحت إشراف الهيئة الاستشارية للمغرب العربي في التّربية والتعليم، من تأليف اللّجنة الدّائمة للرّصيد اللّغوي، طبعة سبتمبر (1975).

وجاء البحث نتيجة السّياسة التّعليميّة في التّخطيط اللّغوي في أقطار المغرب العربي الثّلاثة، مشكلة خطيرة وهي مشكلة ضبط سياسة لغويّة أصيلة ناجعة تساعدها على تحقيق أهدافها من التّطوّر الشّامل الثّقافي، والاجتماعي، والاقتصادي، لذلك بدا لعبد الرّحمان الحاج صالح، أنّ هذه الدّول قاطبة لابد أن تسعى لاتّخاذ سياسة لغويّة مشتركة تخطّط مراحلها وتحدّد أهدافها لتحقيق الهدف من تعميم استعمال اللّغة العربيّة، في مختلف مناحي الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة بجميع مستوياتها، لذلك كان على اللّغويّين المغاربة جمع شملهم، بضرورة النّظر إلى الحالة اللّغوية الرّاهنة، وأجمعوا على ضرورة النّظر الدّقيق الشّامل المباشر في الواقع المغاربي، كمستويات وأنواع التّخاطب التّلقائي الجاري بالفعل بين الأفراد وكيفيّة استعمال العربيّة وتأديتها الصّوتية والمعجميّة والصّرفية والتّركيبية في شتى الظّروف، وفي المشاركة في التّعريب في بعض المواد أو في كلّها باعتبار المستويات، وحسب الحاجات وكذا النّظر في كيفية تعريب المصطلحات العلميّة والتّقنية والحضاريّة الّذي تمّ إنجازه في الأقطار العربيّة عامّة، أو هو في طور الإنجاز، وفي دراسة المناهج المتّبعة في تعليم اللّغة العربية ومدى نجاعتها أو قصورها بالتّعاون مع زملائهم المربّين وفي ضبط رصيد لغوي موحّد، ولذلك تبعا لقرار ندوة وزراء التّربية والتّعليم بالمغرب العربي (المغرب الجزائر تونس)، المعتمدة بتونس من 14 إلى 20 فبراير1967)، الّتي توصي بضبط رصيد لغوي أساسي لمستوى التّعليم الابتدائي كأوّل مرحلة في تحقيق سياسة لغويّة مشتركة، تربويّة، توحيديّة، وعلميّة.

فأوّل مشروع شرع في إنجازه هو مشروع الرّصيد اللّغوي الوظيفي على مستوى المغرب العربي، ثمّ على مستوى الوطن العربي وانتهى إنجازه عام (1972)، وقام بترسيمه وزراء البلدان الأربعة: الجزائر، وتونس، والمغرب، وموريتانيا عام (1975)، وأدخل في الكتب المدرسيّة في هذه البلدان، على أنّ الهدف منه كما ينصّ واضعوه هو أن يضبط مجموعة من المفردات، والتّراكيب العربيّة الفصيحة، الّتي يحتاج إليها المتعلّم في مرحلة التّعليم الابتدائي والمتوسّط والثّانوي، وحتى يتمكّن من التّعبير عن الأغراض والمعاني التي تجري في التّخاطب اليومي(العربيّة، 2002، صفحة 200).ومن ناحيّة أخرى التّعبير عن المفاهيم الحضاريّة والعلميّة الأساسيّة التي يجب أن يتعلّمها في هذه المرحلة من التّعليم.

1.1.أهدافه:

يهدف الرّصيد اللّغوي الوظيفي إلى أنّ التّكوين التّعليمي الّذي يتلقّاه المتعلّم لابدّ أن تستجيب إلى اتّجاهين:(العربيّة،2002، صفحة200)

- **أن تسدّ احتياجات الطّفل التّعبيريّة**، وخاصّة الألفاظ التي يستخدمها داخل البيت وفي الشّارع بالعاميّة، أو لغة أجنبيّة، (وهذا قد لا يجده قبل في دروسه اللّغويّة)، وأن لا يتجاوز مع ذلك الكمّية التي يقدر على استيعابها، وإلّا أصابه نفرّ عن تعلّمها، لأنّ المفردات اللّغويّة، والتّراكيب محدّدة مع كلّ سنّ تعليمي ومدروسة حسب المستوى التّعليمي للمتعلّم.

- **أن يتمّ توحيد لغة الطّفل العربي** ، من المغرب إلى المشرق، دون أن ترفض الألفاظ الفصيحة الّتي بلد مستعمليها، من مثل ذلك: أسماء الملابس والأطعمة، والعادات والّتقاليد، وغيرها،ويتمّ اختيار هذه المفردات بناء على تواتر المفردة وشيوعها في بلدين على الأقل.

فالعيبان الأساسان اللّذان تتميّز بهما النّصوص المدرسيّة، سواء كانت في الكتب المدرسيّة المتعلقة بالعلوم الانسانية أو في بعض الكتب العلميّة أيضا، هما كثرة المفردات الّتي لا تحتاج إليها، وفي نفس الوقت غياب لأسماء المسميّات الحديثة من الحياة، فهناك حشو وخصاصة في نفس الوقت، وهو في نفس الوقت هو أحد الأسباب في صعوبة تكيّف العربيّة الفصحى ومواكبتها للعصر(صالح،2010، صفحة14)

2 - مشروع الذّخيرة اللّغويّة العربيّة:

عرض مشروع الذّخيرة اللّغوية على مؤتمر التّعريب الّذي انعقد بعمّان سنة (1968)، وفكرة الذّخيرة اللّغوية العربيّة وفوائدها الكبيرة بالنّسبة للبحوث اللّغوية والعلميّة عامّة، وبالنّسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة، كما تكمن أهمّية الهدف الحقيقي من المشروع في "الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية واستثمار الأجهزة الحاسوبيّة، الحاليّة وإشراك أكبر عدد من المؤسّسات العلميّة لإنجاز المشروع"(العربيّة، 2002، صفحة 396) ثم عرضت الجزائر المشروع على المجلس التّنفيذي للمنظّمة العربيّة والثّقافة والعلوم هذا المشروع في ديسمبر(1988).

1.2. أهداف المشروع:

الذّخيرة كبنك معلومات آلي الهدف الرّئيس هو أن يمكّن الباحث العربي أيّا كان وأينما كان من العثور على معلومات شتى من واقع استعمال العربيّة بكيفية آلية، وهذا ما سيحقّق بإنجاز بنك آلي للغة العربية المستعملة بالفعل، يضمن أمّهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية والتقنية وغيرها، بالإضافة إلى الكثير من الحوارات العفوية الفصيحة في شتى الميادين(العربيّة، 2002، صفحة396).

وتكمن مزايا الذّخيرة العربيّة في ما يلي:

– أنّها تمثّل الاستعمال الحقيقي للّغة العربيّة، لا ما تأتي به بعض القواميس المصطنعة، (العربيّة، 2002، صفحة 399) وبالتّالي يمكن من استثمارها في إعداد البرامج التّعليميّة، بما في ذلك إعداد قواميس مدرسيّة، وكتب مدرسيّة انطلاقا من الرّصيد المفرداتي للنّصوص التي تحتوي عليه الذّخيرة اللّغويّة.

– تمثيلها للاستعمال اللّغوي بوجود كلّ النّصوص ذات الأهمّية فيها المحرّرة، منها المنطوقة الفصيحة في الآداب والحضارة والدّين والحياة اليوميّة.

– اعتمادها على أجهزة إلكترونيّة في أحدث صورها، وهي الحواسيب وما إليها من الوسائل السّمعيّة البصريّة، وهي الوسيلة التي تجمع الكمّية الهائلة من النّصوص، كما أنّها هي الوسيلة الوحيدة التي يمكنها الإجابة عن الأسئلة بسرعة النّور.(العربيّة،2002، صفحة399)

لذلك نلاحظ أنّ هذا المشروع يكتسي طابعا مغاربيّا، إذ هو مشروع ثقافي تعليمي، بحيث أنّ هذا المشروع سيفيد الطّلبة في مختلف مراحلهم الدّراسيّة، إضافة إلى سهولة استعماله سيصبح في متناول الجميع، كما إنّ مشروع الذّخيرة العربيّة يساهم في تعليميّة اللّغات من خلال حصر جميع الطّرائق التّعليميّة، لذلك ستدخل الذّخيرة العربيّة الكثير من النّصوص التّقنيّة العربيّة منها والمعرّبة، كما يهدف المشروع إلى حيازة مختلف الكتب المدرسيّة، ممّا يمكنّه أن يسدّ ثغرات التّعليم، فالمعلّم لا يمكن له أن يكمل كلّ الدّروس للمتعلّمين، كما لا يمكنه أن يقدّم كلّ الدّروس المخصّصة لتعليميّة اللّغة العربيّة.

ويرتبط المشروع بالهدف اللّغوي والجانب الثّقافي، لأنّه يجمع في محتواه جميع المعلومات المتعلّقة بجميع الميادين، العلميّة والتّقنية والتّاريخيّة والاجتماعيّة وغيرها، فيمكن أن يرجع إليه للحصول على أيّ معلومة من المعلومات التي تتضمّنها النّصوص العربيّة المحوسبة، ويمكن أن يرجع الباحث إلى النّص الأصلي إذا كان النّص العربي مترجما.

وقاعدة المعطيات اللّغويّة التي تنشأ ضمن هذا المشروع هي قابلة للإثراء على الدّوام بحسب تطوّر المعلومات ويكون تحت تصرّف أي باحث.

3 -الأصول العلميّة والتّعليميّة للنّظريّة الخليليّة الحديثة:

بذل الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح مجهودا علميّا عظيما، من خلال العمل الّذي قام به من خلال اطّلاعه على ما جاءت به اللّسانيات الحديثة، وفيما يلي نعرض أهمّ الآراء التي وقف عليها عبد الرّحمان حاج صالح في تعليميّة اللّغة العربيّة ضمن النّظريّة الخليليّة الحديثة.

1.3. النّظريّة الخليليّة الحديثة:

سمّيت النّظريّة الخليليّة الحديثة بالحديثة لأنّها تحمل اجتهادا علميّا تقويميّا، صدر في زماننا أدّى إلى قراءة جديدة في التّراث لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتلميذه سيبويه ومن جاء بعدهما من النّحاة واللّغويين الّذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيبويه إلى غاية القرن الرّابع الهجري، بالإضافة إلى بعض البحوث الّتي قدّمها بعض العلماء من أمثال السّهيلي وعبد القاهر الجرجاني والرّضي الاستراباذي وغيرهم،(الرحمان، 2007، صفحة 5)ذلك أنّ الأقوال العلميّة التي ذكّرها هؤلاء العلماء في أغلبها هي للخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب سيبويه، والنّظرية الخليليّة نظريّة رياضيةّ في قضايا اللّسان العربي لتأسيسه على المنطق الرّياضي، على أنّ الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح قدّم هذه النظريّة عند مناقشته للدّكتوراه لسنة **(1979)** بجامعة السّوربون بباريس عنوانها:

"Arabe et linguistique générale. Essai de méthologie al àraliyya linguistique".

إذ كان الحاج صالح يدافع دوما عن نظريّته ليكمل ما قد بدأه الخليل وسيبويه، وذلك للقيمة العلميّة واللّسانيّة الّتي يحملها التّراث العربي القديم خدمة للّغة العربيّة وعلومها.

2.3.اللّغة وضع واستعمال:

يرى الدّكتور عبد الرحمان الحاج صالح، أنّه لابدّ من التّفريق إلى ما يعود إلى بناء اللّغة، وإلى ما يعود إلى استعمال اللّغة، ويشير في ذلك إلى أنّ فكرة الوضع والاستعمال في النّظريّة الخليليّة الحديثة تقابل ثنائيّة القدرة والأداء في النّظرية التوليدية التّحويلية، حيث يقابل الوضع المستوى الأوّل: "اللّسان" باعتباره وصفا علميّا للظّاهرة اللّغوية، والاستعمال الذي يعني الكيفيّة العفويّة التي يستعمل بها الناطقون باللغة، إذ يقول: "إنّ اللّغة هي وضع واستعمال، أي نظام من الأدلّة الموضوعيّة لغرض التّبليغ، وفي الوقت نفسه استعمال أو استثمار فعلي لهذا النّظام في واقع الخطاب، وهذا شيء قد لاحظه علماؤنا القدامى وتناساه مع الأسف المتأخّرون منهم إلى وقتنا هذا، كما تناسوا أنّ هذا الاستعمال هو مشافهة قبل أن يكون كتابة وتحريرا، فالمنطوق والمسموع هو الأصل، في استعمال اللّغة، والمكتوب فرع عليه". (العربيّة، 2002، صفحة 81)وبالتّالي ميّز ما ينتمي إلى اللّغة كنظام، وما يخصّ كيفية استعمالها، وبالتّالي إنّ النّظريّة الخليليّة ينتقي ضمنها المتعلّم ما يحتاجه للتّعبير عن أغراضه، لذلك يمكن التّمييز بين ما هو راجع للقياس، وبين ما هو راجع للاستعمال، أي

إجراء اللّغة في حالة خطابيّة معيّنة وقوانين الاستعمال غير قوانين النّحو والقياس، وهذا ما تجاهله النّحاة المتأخرّون عندما خلطوا بين قوانين الاستعمال وقوانين القياس (زهور، 2015، صفحة 25)، وهذا ما يفسر وقوف أصحاب النّظرية الخليليّة الحديثة أنّ عملية تعليم اللّغات لا ينبغي أن تقوم على تحفيظ النّحو فقط، وهو ما فهمه واضعو المناهج التّعليميّة، فهموا أن اللّغة وضع، فصمّموا المناهج التّعليميّة على هذا النّحو، بينما تناسوا أنّ اللّغة استعمال أيضا، وهو الجانب الذي لابدّ أن يعلّم للمتعلّم، أي تعليم الوظيفة التّبليغيّة للّغة، إذ أصبحت تعليميّة اللّغات وفق النّظريّة الخليليّة تنصبّ في النّظر إلى كيفية إبراز مستعمل اللّغة قدرته لتوظيف معرفته الخاصّة بالقواعد اللّغويّة، لتبليغ المعرفة، إذ تعليم اللّغة لا يكون بحفظ القواعد النّحوية، بل كيفية استعمالاتها في المواقف التّواصليّة.

3.3.مراعاة جميع الأحوال الخطابيّة التي تستلزمها الحياة اليوميّة أثناء الاستعمال الفعلي للّغة:

يمثّل هذا القطب ضرورة عدم تركيز واضعي المناهج على النّصوص الأدبيّة البعيدة عن متطلّبات وحاجات المتعلّمين، فيقول عبد الرّحمان الحاج صالح أنّ: "تعلّم اللّغة لابدّ أن يستجيب لما سيحتاج إليه المتعلّم للتّعبيرعن كلّ ما يختلج في نفسه وما يدور في ذهنه وما يكنّ من غرض، فاللّغة وضع للتّبليغ والاتّصال قبل كلّ شيء، فإذا لم يفهم ذلك المعلّم وقصد تعليم الأساليب التي يجدها في النّصوص في ذاتها ولنفسها، أي كنماذج للأساليب الجميلة دون مراعاة الاحتياجات التّعبيريّة الحقيقيّة التي يشعر بها المتكلّم عند استعماله الفعلي للّغة في مختلف الأحوال الخطابيّة التي تصيرها الحياة اليوميّة"(صالح الحاج، صفحة174)، وهي دعوة لعدم إهمال اللّغة اليوميّة، أيّ اللّغة التي ترتبط باحتياجات المتعلّم دون التّفريط في اللّغة الأدبيّة، ودون تركها أيضا لأن تلقّي الطّفل أيضا للّغة الرّاقية والأدبيّة يكسبه لسانا فصيحا.

-منظور النّظرية الخليليّة الحديثة لتعليميّات اللّغات:

تبنّت النّظريّة الخليليّة الحديثة جملة من المبادئ لتفيد بها المبحث التّعليماتي وهي:

-أنّ اللّغة نظام.

-الانتباه إلى أهمّية ملكة التّبليغ والتّركيز على احتياجات المتعلّم.

-العناية باللّغة المنطوقة أوّلا ثم اللّغة المكتوبة.

-الانغماس اللّغوي.

-المكانة العلميّة للمعرفة اللّغويّة العلميّة.

-من التّركيز على المادّة اللّغويّة إلى التّركيز على المتعلّم(زهور،2015، صفحة109)

فاللّغة نظام قائم على النّظم والتّأليف، تتآلف فيما بينها الأصوات لإنتاج دلالات معيّنة، فيقول الحاج صالح أنّ اللّغة: "مجموعة من الألفاظ يعثر عليها المتعلّم في القواميس، أو يلتقطها بسمعه من الخطابات ثم يسجلّها في حافظته" (عبد الرحمان الحاج صالح، صفحة 191) ذلك لأنّ تعلّم لغة من اللّغات، وخاصّة العربيّة لا يتمّ بحفظ مفرداتها، وإنّما من خلال اكتساب التّراكيب التي تأتي عليها المفردات مجتمعة، أي من خلال التّعالق المفرداتي ضمن الخطاب، فالمفردة لا تحمل معنى وهي مستقلة إلّا إذا أدمجت في نصّ أو خطاب.

أمّا الانتباه إلى أهمية ملكة التّبليغ والتّركيز على احتياجات المتعلّم، فاللّغة في حدّ ذاتها جاءت للتّبليغ والاتّصال، لذلك إنّ تعليم المفردات معزولة بعيدا عن المواقف لن ينتج تعليما سليما ولن يستطيع المتعلّم اكتساب ملكة استعمال اللّغة، وقد سبق إلى ذلك **ابن جني** في باب القول عن اللّغة وماهي: "أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"(جني، صفحة 33)، فقد سبق إلى ذلك اللّغويّون العرب على أنّ اللّغة تحمل سمة الوظيفة التّواصليّة، وهو ما تدعو إليه أدبيّات التّربية الحديثة، إلى ضرورة موافقة المحتويات

التّعليميّة مع الاحتياجات اللّغويّة التّواصلية للمتعلّمين، من خلال اختيار المفردات التّعليميّة التي تفي بمتطلباتهم البحثيّة.

وبالنّسبة للعناية باللّغة المنطوقة ثم المكتوبة، يشير الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح، إلى أهمّيتها من خلال إشارته إلى أن اللّغة المنطوقة هي الأصل، أمّا المكتوب ما هو إلّا فرع منه، فالملاحظ في اللّغة التي يتعامل بها الأفراد في يوميّاتهم هو استعمالهم بنسب أكبر مقارنة باللّغة المكتوبة، وقد صدق ابن خلدون حين قال: "السّمع أبو الملكات اللّسانية" (خلدون، صفحة 712)، لذلك إنّه من المهمّ تنمية مهارات التّواصل الشّفوي للمتعلم والاهتمام بمهارتي الاستماع والكلام، وإعطائهما الأهمّية القصوى لتدريب المتعلمين على الطّلاقة اللّغويّة، من هنا تغيّرت نظرة الباحثين من تعليم القراءة والكتابة إلى تعليم الاستماع والكلام، وفق ما تنصّ عليه النّظريات الحديثة.

أمّا بالنّسبة للانغماس اللّغوي ، يرى عبد الرّحمان الحاج صالح أنّ من يريد تعلّم اللّغة عليه بالانغماس فيها، فاللّغة لا تنمو ولا تتطوّر إلّا في البيئة التي تستعمل فيها كليّة، أمّا بالنّسبة للمعرفة العلميّة في تحصيل اللّغات، ميّز اللّغويّون بين نوعين من المعرفة، سمّيت المعرفة الأولى بالصّناعة، والمعرفة الثّانية بالملكة، أمّا الصّناعة فتمثل اللّغة كنظام، والّتي تخصّ عالم اللّسانيات كعالم متخصّص، أمّا الملكة فهي متعلّقة بالمتكلّم، وتتمثّل في الإنجاز الفعلي للّغة بصورة سليمة.

وتثير قضيّة التّركيز على المتعلّم دون التّركيز على المادّة اللّغويّة، وهو انتقال من التّركيز على المادّة التّعليميّة كهدف، إلى التّركيز على المتعلّم كاستعداد لتنمية قدراته ومعارفه، ودمجها في معارف ووضعيّات جديدة تستحق منه استخدام استعداده النّمائي والنّفسي، والعمل على تصحيح مسار تعليم العربيّة وتنمية ملكتها لدى المتعلّم، والتي تتّخذ مرحلتين مهمّتين:

تتمثّل المرحلة الأولى في التّركيز على إكساب المتعلّم ملكة أساسيّة، أي القدرة على التّعبير السّليم، والتّصرف العفوي في بنى اللّغة، وهذا يتطلب وضع تدرّج منطقي لاكتساب التّراكيب والبنى الأساسيّة للّغة العربيّة، والانتقال من الأصول للفروع، مع الحرص على تجنّب كل أنواع التّعبير الفنّي الذي يستخدم المحسّنات البديعيّة، والبديع. أما في المرحلة الثّانية تُخصّص هذه المرحلة لاكتساب مهارة التعبير الفعال، بعد أن يكون المتعلم قد اكتسب البنى الأساسية إفرادا وتركيبا، حتى لا يصعب عليه في هذه المرحلة توظيفها بما تقتضيه قوانين الاستعمال، ولا يمكن الاكتفاء في هذه المرحلة، على تلقين المتعلم قواعد السلامة اللغوية، ومعرفة قواعد البلاغة العربية، بل لابد أن توجه الأهمية للاستعمال،(زهور، 2015، صفحة 117) مع ضرورة ربط الحاجات التعليمية بالتواصل، وهو المبدأ الذي لا يمكن الاستغناء عنه في النظرية الخليلية، وتنظر النظرية الخليلية الحديثة للتقويم من مبدأ حداثي معاصر، وتوافق ما تدعو إليه النظريات التعليمية المعاصرة، التي لا تعيب تعلم المتعلم بقدر ما تجعل منه يرتكب الخطأ كي يتعلم، على عكس ما كان سائدا في النظريات التعليمية التقليدية التي كانت تجعل من المعلم سيد القسم وهو فقط من يملك المعرفة، ودونه لا يتعلم المتعلم، ولو حاول، وإن وقع في الخطأ لابد أن يعاقب، كل هذه المظاهر السلبية إن صحّ القول لم تجد نفعا بعد الآن، والانطلاق من فكرة أن: "الأخطاء ظاهرة طبيعية لا عيب يعاقب عليه التلميذ" (بوشحدان، 2012، صفحة 110).

II. خاتمة

إنّ المتمعّن لجهود الدّكتور عبد الرحمان الحاج صالح، يجد أنّه انفرد بقضايا تميزه عن غيره من الباحثين، وتفرده بقضايا لم يسبقه إليها غيره، لذلك أفرزت نتائج البحث النّقاط الآتية:

-فهمه العميق لخصائص اللّغة العربيّة وتعليمها وما يتطلّبه تعليمها من برامج تخصّها.

-حفاظه على الرّصيد اللّغوي الوظيفي للغة العربيّة في المغرب العربي، يبرز مدى وعيه لتوحيد الاستعمال اللّغوي الفصيح للّغة العربيّة، ورصد أهمّية التّعاون المغاربي في وضع رصيد لغوي موحّد بين البلدان المغاربيّة الثّلاثة، ونظرا لنجاحه فقد توسّع أيضا إلى بلدان عربيّة أخرى.

-تمكّنه الرّهيب من المزاوجة بين القديم والحديث وفق رؤية توافقيّة في شكل نظريّة أصيلة ، استطاع من خلالها تبيان الأهمية التي تحتلها تعليمية اللغة العربية في المصنفات القديمة للغويين العرب والاستفادة منها لصياغة نظريّة أصيلة.

معرفته العميقة بواقع تعليم اللّغة والنّقائص التي تعتري تعليمها، ومرونة آرائه التّعليمية يجعل من أرائه نمط مقبوليّة على مستوى البيداغوجيّات الحديثة.

المراجع:

- ابن جني. (بلا تاريخ). الخصائص . *ج1* . (تحقيق محمد علي النجار) بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن خلدون. (بلا تاريخ). المقدمة. *ج2*. بيروت، لبنان: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.
- الحاج صالح عبد الرحمان. (2007). النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية. *كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية* (ع4).
- الشريف بوشحدان. (2012). النظرية الخليلية الحديثة: وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة. *مجلة التواصل في اللغات والثقافات والآداب مجلة علمية دولية محكمة* (31).
- بحوث ودراسات في اللسانيّات العربيّة. (2002). *بحوث ودراسات في اللسانيات العربية* . الجزائر: موفم للنشر.
- شتوح زهور. (2015). النظرية الخليلية الحديثة وتطبيقها في مرحلة التعليم المتوسط، دراسة وصفية. *أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللسانيات التطبيقية* . كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة العربية وآدبها، إشراف: السعيد بن براهم.
- صالح الحاج. (بلا تاريخ). الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي. *مقال منشور في كتاب بحوث ودراسات في علوم اللسان، ج 1* .
- عبد الرحمان الحاج صالح. (بلا تاريخ). أثّر اللّسانيات في النّهوض بمستوى مدرسي اللّغة العربية. *من كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية* .
- عبد الرحمان حاج صالح. (2010). الرصيد اللغوي للطفل العربي، وأهمية الاهتمام بمدى استجاباته لحاجاته في العصر الحاضر . *الممارسات اللغوية، مجلة دولية محكمة نصف سنوية، المجلد 1* (ع1).